سينما

«الغريب» و«فرحة» عن الاحتلال الإسرائيلي
جدّية وصدق وحداثة واهتمام بالتفاصيل

فيلمان عربيان جديدان يتناولان الصراع العربيّ الإسرائيليّ والقضية الفلسطينية بعينين سينمائيتين مختلفتين وجادّتين وطموحتين وصادقتين

محمد هاشم عبد السلام

تاريخياً، تُعاني السينما العربية نقصاً في الأفلام التي تتناول القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، رغم مصيرية الصراع وأهمية القضية وإنسانيتها، وكثرة المواضيع والقصص، وتنوّعها وغناها.
في إنتاجات هذا العام، الصراع نفسه محورُ لفيلمين عربيين، لشابين سوري وأردنية. الأول مُصوَّر في مرتفعات الجولان المحتلّ، في المنطقة الحدودية المتنازع عليها بين إسرائيل وسورية ولبنان. منطقة منسية سينمائياً، رغم الثراء الدرامي الموجود فيها، وأماكن التصوير البكر. الثاني يعود إلى بداية النكبة العربية، عقب انسحاب القوات الإنكليزية، وملء قوات الاحتلال الإسرائيلي هذا الفراغ، وتقاعس القوات العربية، ما أدّى إلى وقوع «النكبة»، أو «نكبة 48». هذه أيضاً فترة نادراً ما اقتربت وتقترب منها الأفلام العربية.
قصة «الغريب»، أول روائي طويل للسوري أمير فخر الدين (1991) كتابة وإخراجاً، بسيطة، لكنّ الفيلم أوسع منها. يصعب على بُنية القصة تحمّل ثقل الأبعاد الوجودية والنفسية التي تتضمّنها. الفيلم محاولة لتقديم شخص غريب عمن حوله، يعاني أزمة أحبطته، وتُركته حُطاماً، وجعلته غير مرغوب فيه من أسرته ومحيطه الضيق ومجتمعه.
بعد افتتاح هادئ وغامض. يُشير فوراً إلى التوق إلى مبارحة المكان، والهجرة بعيداً عن مرتفعات الجولان المحتلّ، إلى باريس أو برلين أو غيرهما . يظهر أبو عدنان (محمد بكري) وهو يوصي بحرمان ابنه الوحيد من الميراث في وصية مكتوبة، بما في ذلك منزله وبستان التفاح. عدنان (أشرف برهوم) يكاد لا يتحدّث إلى والده. شعور العداء المتبادل بينهما قوي، لكنّ بواعثه غير واضحة كلّياً.

مناطق منسية سينمائياً وثراء درامي يحتاج إلى السينما

لم يستكمل عدنان دراسة الطب في موسكو، لأسباب مُبهمة بعض الشيء. الشاب سكّير، تبلغ حالته درجةً سيئة، يضطر صهره فيها إلى تهديده بتطليق شقيقته، التي يعرف أنّها تحبّ زوجها كثيراً، ولا تريد تركه.
بسبب شعوره بالإخفاق والفشل، ينأى عدنان بنفسه عن زوجته ليلى (أمل قيس) وابنته (قمر حليحل). الزوجة والابنة توحيان بالأمل. أمل وحيد ربما لاستعادة عدنان رشده، ونفض ثقل الماضي وصدماته وإرث النظام الأبوي عن كاهله، والبدء مجدّداً. لكنه لا يستطيع التوافق مع أصدقاء قلائل حوله، ولا مجاراة أموره مع جنود الاحتلال، المنتشرين في كلّ مكان.
«إلى متى يمكن لأيّ شخص أنْ يعيش في ظلّ شخص آخر؟»، تقول زوجته. يعيش عدنان في ظلّ والده، وضغط مجتمعه، ومأساة احتلال بلده، فيحتسي الخمر من دون توقّف. يكتفي بالاعتناء بالمزرعة، وبالحيوانات القليلة المتبقية فيها، التي تبدو صورة طبق الأصل منه. بقرة يختلط الدم بلبنها، وكلب بثلاثة أرجل، لا يستطيع الدفاع عن نفسه ضد الحيوانات الأخرى، الأكثر عدوانية.
تأخذ حياة عدنان منعطفاً درامياً، عندما يتعيّن عليه مساعدة أحد الجنود الغامضين، المُصاب في الحرب السورية. يُهرّبه ليلاً عبر السياج الحدودي بمساعدة صديقين، ويحاول يائساً تضميد جراحه المميتة، ما يجعله يستعيد نفسه وماضيه ومهنته وإنسانيته، ولو لساعاتٍ قليلة.
«الغريب»، المُشارك في الدورة الـ18 لـ«أسبوع النقاد»، في الدورة الـ78 (1 ـ 11 سبتمبر/أيلول 2021) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي»، فيلم شخصي، ينقل الشعور بالعجز والخواء لدى شخص لا يزال يكابد مأساة وطنه، ومع ذلك، لا يستطيع فعل شيء من أجله، ولا من أجل نفسه وأسرته. الفيلم استعارة شعرية كئيبة للغربة، التي يشعر بها أيّ إنسان، في المستويات كلّها، عندما يعيش في الأسر.
في «الغريب»، تمتد سماء الخريف فوق المرتفعات الخلّابة للجولان المحتلّ. تتساقط أوراقه، وينضج التفاح ويُحصد. تغمر الأمطار الأرض، التي تفيض بالأوحال. المناظر الطبيعية مُوظّفة في الفيلم بمهارة تخطف الأنفاس. يُمكن للمُشاهد أنْ يشعر بأجواء ترقّب وتوتّر، وموت وحياة، وبداية دورة ونهاية أخرى. وربما بما هو أضخم وأخطر.
يصعب على المُشاهد المتمرّس، مع توالي مشاهد «الغريب»، أنْ يتجنّب ذلك الانطباع المتكرّر بأنّ الفيلم يحمل بصمات بصرية لأفلام عدّة في تاريخ السينما، كما موضوعه وطريقة معالجته، والخاتمة المزعجة جداً. مخرجون عديدون، أمثال ثيو أنغلوبولس وأندريه تاركوفسكي وبيلاّ تار وغيرهم، حاضرون بقوّة. أحياناً، تُنقل حرفياً مَشاهد من أفلامهم، بدلالاتها الرمزية أيضاً، كالتفاح والضباب. هذا يُلقي بظلاله على أصالة المخرج، رغم جدية وصدق طموحه الفني، والجماليات البصرية المبتغاة، ما يُحتّم عليه تجنّبه في أفلام مقبلة، وإيجاد صوت ورؤية وخبرة خاصة به، لا سيما أنّه موهبة سينمائية جادة وواعدة، وصاحب رؤية فنية وبصرية لافتة للانتباه.
الأردنية دارين سلام (1987) استوحت أحداث أول روائي لها، «فرحة»، من وقائع حقيقية جرت في فلسطين مع نكبة 1948. الفيلم شهادة صادقة عن جزء ضئيل من وقائع ما جرى ولم يُروَ، بدءاً من النكبة إلى اليوم، بتصويره التاريخ الفلسطيني كاستعارة مُكثّفة، بعينيّ مُراهِقة ذكية وعنيدة، تأبى الاستسلام.

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

أمير فخر الدين وأشرف برهوم و«الغريب» في «لا موسترا 2021» (ماريا مورانّي/Getty)

أفلام جديدة

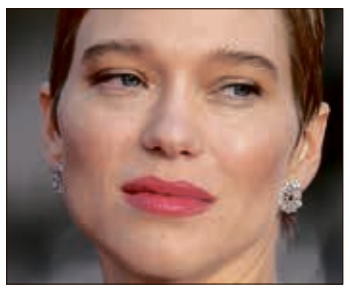

■ The French Dispatch لوس أندرسن، تمثيل ليا سايدو (الصورة) وبينيتشيو دل تورو وتيلدا سوينتن وفرنسيس ماكدورماند: بعد الوفاة المفاجئة لآرثر هوفيتزر جونيور، رئيس تحرير صحيفة «ذو فرانش ديسباتش»، يُقرّر أعضاء هيئة التحرير إصدار عدد خاص وأخير تُنشر فيه مقالات عن الراحل والمدينة (ليبرتي في كنساس) ومسائل مختلفة تكشف وقائع مخفية وحكايات منسية.

■ El Tonto لتشارلي داي إخراجاً وتمثيلاً، مع أدريان برودي وكايت بكينسال (الصورة) وجون مالكوفيتش: لا أحد يتمكّن من حلّ اللغز، الذي أحدثه رجلٌ أبكم وبسيط العقل، ذات يوم من أيام الحياة اليومية الروتينية في بلدة أميركية. فهذا الرجل يقوم بـ«عمل بطولي» (بحسب وصف بعض الشهود) أثناء نزوله من حافلة، ما أدّى به إلى هوليوود، حيث سيُصبح، سريعاً، أحد أبرز نجومها الأكثر شهرة.

■ Maudit لإيمانويل بارّو، تمثيل ماري لانفروا (الصورة) وفاروق سعيدي وألدة دولفان: بعد معرفته باختفائه الغامض، ينتقل ألكس إلى جزيرة «لا ريُونيون»، بمرتفعاتها الوحشية، بحثاً عن صديق طفولته. لكنّ الجزيرة مُصابة بلعنة حكاياتها المخيفة والعنيفة، إذْ تستوطن فيها أشباح الاستعمار والعبودية، بما تحمله الأشباح من مخاوف ومخاطر وتساؤلات وحالات انفعالية غامضة وغريبة.

■ Careless Crime لشاهرام موكري، تمثيل رازي منصوري (الصورة) وباباك كريمي وأبوالفضل كاهاني: يستعد 4 أشخاص لإضرام النار في صالة سينمائية، أثناء عرض فيلم منتظر منذ وقت، يُصوِّر عثور جنود على صاروخ غير منفجر، يُصبح رمزاً لماضٍ ثوري، ولحاضر لا يزال متذبذباً ومُضطرباً وقلقاً. عام 1978، قتل حريق صالة سينما «ركْس» في عبادان (إيران) 478 شخصاً. حريق يعتبره البعض سبب اندلاع الثورة الإيرانية.

■ Une Vie Demente لين سيرو ورافاييل بالبوني، تمثيل لوسي دوبي (الصورة) وجان لو بلتييه: يصعب على الزوجين تحقيق حلم يراودهما منذ أول لقاء حب بينهما: إنجاب طفل. يجهدان لتحقيق ما يرغبان فيه، لكن أموراً عدّة تتداخل وتتشابك فيما بينها، تُعطّل هدفهما، أو بالأحرى تؤجّل لحظة تحقّقه إلى وقتٍ غير معلوم. مغامرات وعلاقات وتفاصيل كثيرة عن الحياة والحبّ والواقع.

«فرططو الذهب» لعبد الحميد بوشناق
غرائبية وجماليات بصرية تحتاج إلى إصلاحات

عبد الكريم قادري

انتصر المخرج التونسي عبد الحميد بوشناق، في سينماه، للمختلف والخارج عن السائد، مقارنة بما يُنتج عربياً. هذا أكّد عليه في فيلمه الروائي الأخير، «فرططو الذهب» (2021)، المُشارك في المسابقة الرسمية للدورة الـ32 (30 أكتوبر/تشرين الأول . 6 نوفمبر/تشرين الثاني 2021) لـ«أيام قرطاج السينمائية» (تنويه خاص).
سبب الاختلاف أنّ مُدوّنة السينما العربية ركّزت، منذ تأسيسها، على أنواع سينمائية مُحدّدة، وتخلّت عن أفلام الرعب والمغامرة والحركة والموسيقى، وعن غيرها من التيارات الأخرى، لأسباب يطول شرحها، وإنْ كانت هناك تجارب، قليلة لا تُشكّل توّجهاً؛ ما جعل بوشناق يتخطّى هذا التصوّر الموروث، ويعتنق أنواعاً سينمائية جديدة، كالرعب في «دشرة» (2018)، المُشارك في أسبوع النقاد، في الدورة الـ75 (29 أغسطس/آب . 8 سبتمبر/أيلول 2018) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي»؛ منتقلاً بعده إلى الغرائبية، في جديده «فرططو الذهب» («الفراشة الذهبية» في لهجة الدول المغاربية)، والرعب فيه حاضرٌ أيضاً وإنْ باحتشام، من دون استيلائه على التصنيف السينمائي.
استغلّ عبد الحميد بوشناق، مخرج وكاتب سيناريو «فرططو الذهب»، الأفراد المأزومين، لتحريك قصّته، والدفع بها إلى الأمام، وفي الوقت نفسه العودة من خلالهم إلى الوراء، لفهم أسباب العلل التي أسهب علم النفس في تحديد مسبّباتها وتفسيرها، وفقاً لمعطيات سلوكية مُعيّنة، أنتجها واقع المجتمع، وبدرجة أقرب واقع الأسرة، التي جعلها بوشناق مُبرّراً ومنطلقاً لتفاصيل وعجزه. لهذا، استقلّ في بيته، تاركاً والده وأخته التي ترعاه، بعد أنْ أصبح عاجزاً عن الاهتمام بنفسه. الابن العنيف منهارٌ، لا يملك سبباً للبهجة في الحياة، التي تتعقّد أكثر عندما يأتي إلى بيته طفلٌ معه ورقة تشير إلى أنّه ابنه، الذي لم يبقَ له وقتٌ كثيرٌ ليفقد البصر، فحاول استيعاب الأمر.
راضياً بهذا القدر، يُقرّر معز الذهاب مع الطفل في رحلات، يرى فيها أشياء لا تُصدَّق ولا تُنسى. الرحلة تؤسّس الخطّ الغرائبي الذي رسمه بوشناق بكل شجاعة، من دون عقدة من موروث التلقي النمطي، المطبوع في أذهان الجمهور العربي المُسيَّر في خطّ نوعي واحد في السينما العربية، على عكس السينما العالمية، التي يتقبّل منها الأنواع السينمائية كلّها، بحكم إنتاجها الغزير، والتراكم الزمني.
أوجد عبد الحميد بوشناق أشكالاً وشخصيات، تتشكّل وتنمو في تهويمات العقل الداخلي، وأخرجها من الزوايا المعتمة، جاعلاً إياها كائنات ظاهرة بأشكال غريبة وخارجة عن المألوف البصري، كالشاب صاحب اللسان الطويل، والرجل المُقيم في المستودع المهجور، ذي الجناحين الكبيرين اللذين يضمرهما ويُظهرهما متى شاء، وجنّة الحوريات الجميلات، اللواتي دخل إلى عالمها، خاصة تلك التي لها 3 عيون تحت فروة شعرها. هناك رجل يعيش وحيداً في كوخ خشبي متواضع، إلى جانب البحيرة، بعيداً عن الناس، ويتحوّل إلى حيوان مفترس عندما يرى شرائح اللحم، أو يشمّ دمها.

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

عبد الحميد بوشناق في ختام «أيام قرطاج السينمائية 2021» (فتحي بلعيد/فرانس برس)

بوشناق يتخطّى الموروث ويصنع سينما غرائبية وأفلام رعب

الحكي، عبر مُعز (محمد السويسي) الشرطيّ الثلاثينيّ، والأب المتسلّط والسكّير والعنيف (فتحي الهداوي)، والأخت المستكينة الراضية بقدرها (هالة عياد)، والأم المُعنّفة التي تتحمّل وحدها خطايا الأسرة وسلوكها بكل مرارتها. معز عنيف، تربطه علاقة متوتّرة مع مسؤوله المباشر في مركز الشرطة، ومع والده، الذي كان سبب إعاقته